

المدارس الكثيرة والمكتبات من قبل سلاطين الشيعة ووزرائهم
وأهل الثروة والعلماء أنفسهم



الجانب القبلي من جامع النجف الأشرف

قدم الطوسي عام ٤٠٨ فدرس على الشيخ المفيد ببغداد مدة حياته وبعد موته على السيد المرتضى صاحب الأمالي، وكان السيد يجري عليه شهرياً اثني عشر ديناراً كما يجري على تلامذته كل سنة. ولقد عظمت منزلته أخيراً وأصبحت له مكانة علمية أثبتت عليه بطلاب العلم. حدث في (روضات الجنات) ورجال المامقاني أن فضلاء تلاميذه الذين كانوا من المجتهدين يزيدون على ثلاثمائة فاضل من الشيعة، أما من أهل السنة فما لا يحصى، وأن الخلفاء الباسيين في بغداد أعطوه كرسي الكلام، وكان ذلك لمن كان وحيداً في ذلك العصر. وكانوا مبالغين في تعظيم العلماء لا فرق لديهم بين المذاهب الإسلامية، ولكن الوشائيات أخذت تدب حول هذا العلم حتى اضطرت أخيراً أن يفادر الزوراء ويشتد الرجال إلى جوار ابن عم الرسول وهناك يقيم دعائم مدرسته. حكى القاضي في مجالسه عن ابن كثير التتامي أن الطوسي كان فقيه الشيعة مستنبلاً للإفادة في بغداد إلى أن وقعت الفتنة بين الشيعة والسنة (وهذه الفتنة الداخلية هي التي خضدت شوكة الإسلام حتى انهار مجده) سنة ٤٤٨ هـ واحتوت كتيبه وداره في باب الكرخ فانتقل من بغداد إلى النجف وبقي هناك إلى أن توفي سنة ٤٦٠ هـ. وأضاف في الروضات احتراق كرسبه الذي كان يجلس عليه للكلام. وحكي^(١) جماعة أنه وثى بالشيخ إلى الخليفة العباسي فاستدعاه؛ غير أن الطوسي استطاع أن يزيل ما علق بخاطره فرفع شأنه وانتقم من الساعي وأهانته. وقال ابن الأثير (ج ٩ ص

(١) الروضات ولؤلؤة البحرين وبجلاس القاضي ورجال المامقاني

تاريخ الحياة العلمية

في جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

(تابع)

وتدل الآثار أنه كان في عهد عضد الدولة حول القبر الشريف
الدولي مدرسة إسلامية فيها الفقهاء والقراء يتعاهدونها بخيراتهم ذلك
الملك العمراني المحب للعلم وأهله^(١)

في فرحة النوري عن يحيى بن عليان الخازن بالقبر الكريم
أنه وجد بخط ابن البرقي المجاور بمشهد النوري على ظهر كتاب
بخطه: قال توجه عضد الدولة عام ٣٧١ هـ إلى المشهد الشريف
النوري وزار الحرم المقدس فكان مما فرقه ألف درهم على الناحية
(الدين بنوحون على الحسين) وثلاثة آلاف درهم على الفقهاء
والفقهاء. وروى ابن مسكويه في تجارب الأمم (ص ٤٠٧ ج ٦)
وابن الأثير (ص ٢٣٤ ج ٨) أنه في عام ٣٦٩ أطلق عضد الدولة
الصلات لأهل الشرف والقيميين بالنوري وغيرهم من ذوى الفاقة
وأدرت لهم الأوقاف

وفي أثناء عهد عمارة عضد الدولة حصل حادث مهم في تاريخ
جامع النجف الأشرف كان له الأثر الفعال في تمركز التدريس
فيه، فقد هاجر إلى النجف العلامة شيخ الطائفة محمد أبو جعفر
الطوسي فأقام نهضة علمية كبرى ونظم الحركة الفكرية وقواها
ورفع منار الثقافة الإسلامية فأمر النجف الأشرف من سائر أقطار
الشيعة جمع غفير ليرتشفوا أفابيق العلم، وقد صادرت في ذلك اليوم
مراكزهم من مراكز العلوم الإسلامية الكبرى وأنشئت فيها

(١) قال السيوطي في بقية الوعاة: كان عضد الدولة بن بويه أحد العلماء
بالبرية والأدب له مشاركة في عدة فنون وله في البرية أبحاث حسنة؛ وكان
كامل العقل غزير الفضل حسن الياسة شديد المهية بييد المهمة قارأى
ثاقب، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ودانت له البلاد
وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة وأول من لب في الإسلام
شاهنشاه وله صف أبو على الأيضاح والتكلمة، وهو الذي أظهر قبر علي
ابن أبي طالب وفي عليه المشهد مات عام ٣٧٢ بملة الصرع

وقد احترقت هذه المكتبة عام ٨٧٤٠ هـ وجدوها جماعة من العلماء منهم ابن الآوى الذى كان صدراً للحكومة الأيلخانية ونظر المحققين ابن العلامة الحلبي (كما أخبرني الأستاذ السامري)



(الايوان التميمي وفي وسطه المدخل للحرم الداخلي)

جدد تسمير بناية القبر عام ٧٦٠ هـ بمد احتراق عمارة عضد الدولة بمادة رابضة ذكرها مؤلفو القرن الثامن الهجري بجولا صاحبها يظن أنه من رجال الحكومة الأيلخانية ، وقد أسلحها الشاه عباس الأول من أعظم ملوك إيران المتأخرين ، وفي عهد هذه الهارة قويت الهجرة إلى جامع النجف الأشرف في عهد المقدس الأردبيلي (المتوفى عام ٩٩٦ هـ) وكان عالماً فاضلاً مدققاً جليل القدر له عدة مؤلفات منها آيات الأحكام قد فسرنا فيه وأرجع إليها قضايا الفقه، وله شرح الهبات التجريد وتعليقات على شرح المختصر للمضدى وشرح لارشاد الأذهان في الفقه . وقد تولى التدريس في مدرسة الصحن الشريف، وكانت له حجرة فيه، هاجر إليه طلبة العلم وتخرج على يده جماعة من التوابغ منهم العلامة السيد محمد الماملي صاحب السدازك في الفقه وشرح القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد في مدح الأمير (ع) وشرح الشواهد المدرجة في شرح بدر الدين لألفية أبيه ابن مالك وهو كتاب جليل مفعم بالفوائد غزير المادة الأدبية . ومن درس على الأردبيلي صاحب العالم أحد الكتب المقرر تدريسها في جامع النجف الأشرف . ولتمد إلى بناية القبر الفخمة فأنها تضمضت وحصلت صدوع في الذبة النورة بمروور المصور وتعاقب الأعوام، وأراد الشاه صفى حفيد الشاه عباس الأول توسعة ساحة الصحن الضيقة فأمر بهدم بعض جوانبه وشيدت هذه العمارة الضخمة الباقية إلى اليوم وفي هذه الهارة كانت الفبة الكريمة والايوان والثذنتان مبنية بالحجر الفاشاني إلى عهد ملك إيران نادر شاه

(٢٢٢) وفي سنة ٤٤٩ هـ مهت دار أبي جعفر الطوسي بالكرك وهو فقيه الامامية وأخذ ما فيها وكان قد فارقها إلى الشهيد القروي . هاجر الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف وسكنها وبق يدرس اثنتي عشرة سنة ، وألف كتباً قيمة في التشريع الاسلامي لم تزل مراجع؛ للعلماء فيها (تهذيب الأحكام) و(كتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) و(المبسوط) و(الفهرست) و(ما يمل وما لا يمل) و(المجالس) الخ . ثم بق تلامذته بعد وفاته عند مرقد الامام واستمر التدريس والمهاجرة إلى المهدي العلمي النجفي حتى ظهر في الحلة المحقق الأول صاحب شرائع الاسلام (المتوفى عام ٦٧٦) فأتمجه رواد العلم إليه وقامت حركة فكرية قوية فيها فيما بعد، من أنظماها تلميذه العلامة الحلبي صاحب المؤلفات القيمة الكثيرة في الفقه وأصوله والكلام وغير ذلك وفي أثناء ازدهار الحركة العلمية في الحلة لم تضحل في جاراتها النجف، فهذا الشيخ الرضى بقرغ من تأليف كتابه الشهير في النحو عام ٦٨٣ هـ في النرب ، والرضى كما قال السيوطي في بنية الوعاة (ص ٢٤) هو الامام المشهور صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذي لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو مثله جماً وتحقيقاً وحسن تليل . وقد أكب الناس عليه وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة واختبارات جمة ومذاهب، ينفرد بها وله أيضاً شرح الشافية في الصرف . قال في (الروضات) توطن الشيخ الرضى بأرض النجف الأشرف . وصنف شرحه المشهور على الكافية أيضاً في تلك البقعة المباركة، وذكر في خطبته أن كل ما وجد فيه من شيء لطيف وتحقيق شريف فهو من بركات تلك الحضرة المقدسة، توفي عام ٦٨٦ هـ . وقد نقل لى بعض الفضلاء أن الرضى ألف شرحه في مكتبة الامام (ع) التي في الصحن الشريف وأنها كانت مكتبة عظيمة وحتى الآن لا تزال بقاياها تحوى نقائس الكتب ، من جللتها قرآن بالخط الكوفي كتب عليه أنه بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، ومن ضمنها كتب علمية وأدبية نادرة قديمة الخطوط جداً، ويوجد فيها شرح الدرديدية لابن خالويه بخطه؛ ولكن لا ينتفع اليوم بنقائس هذا الكثر لأنه مقبور بالاهمال؛ وكان على مديرية الأوقاف المراقية أن تهمد بهمة المكتبة إلى رجل ضليع لينظمها ويبرضاها لاستفادة رواد العلم وإلا فان تبعثها وضياعها واضمحلالها أقرب النتائج المترتبة

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

- ٢ -

صلاحية معجزة بني أخلاطه . شهرة النشا به . زعفرته . زبنته
اللاوزية . لونه . أكان يؤكل حاراً . وصفه بالترجرج .
رقه جوانبه . أكان يؤتم به .

وكأنني ذلك العربي ، في ظرف وتعلُّح ، أن تكون صفة
الفالوذج آية من الآي ، وتزبلا في التزبيل ، بل موضع سجدة ،
ومحراب ضراعة ؛ إغلاء بالوصف ، وإعلاء لكلمة الموصوف ؛
ترجي أخ له من بعد أن يكون الفالوذج معجزة نبوة ، وبرهان
رسالة ، فانه في حساب هذا العربي العكس ، لجدير أن تهفو إليه
القلوب ، وتجتمع عليه الاراحات ؛ وما هي إلا أن يؤمن الناس
بمن يجيء بالفالوذج من عند الله ؛ دليل إيماء ، ومظهر إيجاز ...
فقد ذكر أبو هلال^(١) أن أعرابياً سئل عن رأيه في الفالوذج ،
فقال : والله لو أن موسى أتى فرعون بالفالوذج لآمن به ، ولكنه
أتاه بمصاه ؛

- ٣ -

وأخلاط هذه الحلواء ؛ لباب البر ، ورضاب النحل ، وخالص
السمن^(٢) وكان يضاف إلى هذه الأخلاط : النشا . ولله لباب
البر نفسه قال الأصمعي : النشا : شيء يعمل به الفالوذج^(٣) ، فانظر :
كيف يذكر النشا بالفالوذج ، وكيف صارت نسبتته إليه ترميلاً به ؟
وإنما جاء ذلك من بعد صيت الفالوذج ، وذوب صفته ، ولن يعرف
شيء بآخر ، حتى يكون الآخر أوسع شهرة ، وأندى صوتاً ...
وكان الزعفران كذلك من أدوات الفالوذج ، فقد وصف
رجل طاماً أكله عند بعض الناس ، فقال :^(٤) أنا بأرزق ملبونة ،
في الطبرزد مدفونة ، وفالوذة مزرعفة مسمونة . ولا أوقن :

(١) ديوان الماني (الاول - ٢٩٨)

(٢) عبون الاخبار (الثالث - ٢٠٣)

(٣) الخمس (الخامس - ٢١)

(٤) خامس الخامس (٤٤)

أما هذا فقد نذر إذا فتح الهند أن يذهب قبر الامام (ع) .
وكذلك لقد أمر عام ١١٥٥ د بقلع الحجر القاشاني عن القبة
المقدسة والمأذنين والايوان وتذهيبها ، وبذل أموالاً عظيمة تقام
بالتذهيب أكثر من مائتي صائغ ومحاس قد تجمعهم من سائر أقطار
الأرض وفيهم الصيني والهندي والتركي والفارسي والعربي وقد
طلبت كل آجرة بمقالين من الذهب الخالص على ما ذكر بعض
الصاغة الذين تولوا إصلاح القبة أخيراً



الجانب الشمال من جامع النجف الأشرف وفيه مظاهرة إسلامية
وقد وضع في خزانة القبر الشريف تمحا جسيمة مما استلبه
من ذخائر ملوك الهند ، هذا فضلاً عما أهدى إليها غيره من الملوك
والأمراء المسلمين ، ففيها من المجوهرات والتفاس مالا يثمن ، وإن
الأحجار الكريمة لا تمد ولا تعصى . أما القناديل الذهبية المرسمة
والسجاد الفاخر الموشى بالذهب والستائر المنتظمة فيها الجواهر ،
الأمور التي تميز على - الملوك فهي أعلام ونفائس تبهير المقول
ولا يصدق اجتماعها في أعظم الكنوز

وإن بداعة الفن في البناية تبهير الأنظار وتحلب الأفكار
بزخرفها وطلاتها . وقد قال رحالة مصري : (وقبة القبر ومذنتاه
تكسى بالذهب الخالص في بريق خاطف . جزت الباب إلى الفناء
الساوي الربع تطل عليه الحجرات المتجاورة ثم دخلت باب
الضريح ، وأنى لقلبي السكايل أن يصف إبداعه من نقوش وتطعيم
بالذهب والفضة وزخرف بالبور والزجاج والقيشاني ما فاق فيه
جميع المساجد الأخرى) وإن هذه الحجرات كانت مساكن
لطلبة العلم قبل أن تشاد المدارس المدينة

وعسافاً نمود لدراسة النواحي الأخرى المهمة من جامع

النجف الأشرف وحياته العلمية والأدبية

« العراق - النجف الأشرف » ضياء الربيع الربيعي